

مرايا التريند الخادعة

أين تمضي بنا قوانين التريند، العراقيّ والعربيّ، وربّما العالميّ؟

هذا سؤال يرتسمُ أمام ذهن كلِّ مَنْ يسحب هاتفه النّقّال، متثاقلاً صباحاً، ليتابعَ الإشعارات وما علاّق فلان، وما كتبته فلانة، وما انتشر على أرض الفيسبوك وتويتر الزرقاوين، أو في الكواكب المجاورة المسترخية: الانستغرام والسناب شات والتيك توك.

أنتَ موطّف لدى هذه الإشعارات، تتابعها كما تُرمى كرة صوف لقطّة، تركّضُ لترى الإشعار الفلاني، ثم الإشعار العلاّني، بعملية تشبه تماماً الذين يظهرون في اليوتيوب وهم يأكلون وجبات عملاقة من الطعام، لدرجة المعاناة!

لكن هذه الإشعارات، والتواجد في هذه البرامج، ليست المشكلة الأساسية، وإن كانت تسبّب إدماًناً بطريقة ما، وتشعر حين تترك هاتفك، أن كلَّ شيء مهم في الخليقة قد فاتك، الإشكال الأكبر هو الخداع الذي يُمارس في هذه البرامج، من العالم المثاليّ، المليء بالإنجازات، الخالي من الإخفاقات. تستيقظُ شابة ما، أو شاب ما، لنشر أغنية مبهجة، ثم صورة ستوري لفنجان قهوة مصحوبة بأغنية، ثم سيلفي خالٍ من العيوب، تهبطُ عليه الفلاتر من كلِّ حذب وصوب، فنحن شعبٌ كامل لا يملك حبّة شباب أو ثؤلولا على وجهه، وحتى الازدحام والكوارث الأخرى اليومية التي تنهشُ الصبر والأعصاب يتمّ ترطيبها. لا يوجد في السوشال ميديا بالغالب مَنْ يظهر مرضه، أو مشاكله العائلية، أو ضائقته المالية، أو اكتئابه، أو أيّة سلبية أخرى، نحن مهووسون بنشر ما يُعصم منا من الخطأ، كلّا سوبر مان وسوبر وومان، مرّةً لخداع أنفسنا، خصوصاً مع المكافآت الوقتيّة، التعليقات واللايكات وري أكشن القبلة وغير ذلك، ومرّةً لخداع الآخرين، لكن الأمر مضى حتى نسينا الواقع الفعليّ، وتربّت أجيال جديدة وهي منهكة، إذ أنها لا تستطيع اللحاق بقصص النجاح المفبركة المنشورة في السوشال ميديا، وهذا الكم الهائل من التميّز الشخصي الذي تحيط البروفيلات به نفسها، دون إظهار الجانب الأسود، المُتعب، المُنهك من حياتنا.

قليلون مَنْ تتطابق حيواتهم مع صفحاتهم، لي أصدقاء وصديقات كذلك، يتحدث بذات الطريقة في العالمين، غير مهتم بالصورة الفوتوغرافية المثالية، ربما يشتم كما يشتم في الشارع، ويبكي ويضحك كما يفعل بالمقهى، وهؤلاء قليلون، على مَنْ يهملّ الأمر أن يضعهم في محميّة طبيعية: الذين يعيشون بلا مرايا خادعة.

هذه المرايا، تخفي بالغالب نقيضاً لا يشبه أبداً الذي نراه في فيسبوك، أو تويتر، خصوصاً في السياقات السياسية والإعلامية وحتى الأخلاقية، وغالباً ما نرى أن فلاناً القاتل حين يُلقى عليه القبض،

فإن صفحته الشخصية ملأى بالقصص الأخلاقية والإنسانية، وأن فلانة التي تكتب عن أبيض الأشياء لا يمرّ الوقت حتى يفتضح أسودها.

تدريجياً، سيمضي الأمر إلى واقعه، سيملّ الإنسان التمثيل، سينكسر أمام الملأ كما التمع كذباً أمامهم، سيظهر خوفه وانكساره واكتئابه وفقده، سيشعر تدريجياً بأنه ليس هذا، وأن البروفایل لا يشبه إلا ما يصبو إليه، لكنه ليس ذلك.

كلّ مَنْ في السوشيال ميديا صادقون، أمناء، محبّون، "عبي الوحيد طيبة قلبي" كما يقول كثيرون، والأمر هذا لا يشبه الغابة التي نعيش بها، الغابة التي تحتاج إلى كسر مرايا الترند الخادعة، غير المؤثّرة، لرؤيتها!